الأسس التربوية لحركة التجديد

[عند الشيخ عز الدين القسام]

د/ صلاح الدين إبراهيم حماد*

Abstract

This study is considered as the first attempt to show the educational principles on which reformation movement relayed on under the leadership of the Sheikh Ezaddin Al-Qassam.

The movement demonstrated apparently the relationship between the educational and political factors as the social base from which the movement of Jehad started in order to establish the great Islamic Movement that reflects man's origin of this region up till now.

الملخص

تعتبر هذه الدراسة محاولة أولية لبيان الأسس التربوية ، التي ارتكزت عليها حركة التجديد، التي قادها الشيخ عز الدين القسام ، والتي أوضحت بشكل عميق تلازم العملية التربوية والسياسية باعتبارها الأرضية الاجتماعية ، التي انطلقت منها حركة الجهاد لترسي دعائم حركة إسلامية كبرى مثلت الجذور الأساسية ، التي ينتمي إليها إنسان المنطقة إلى يومنا هذا .

* أستاذ فلسفة التربية المساعد بجامعة الأقصى ـ غزة.

تقديم :

تعتبر هذه الدراسة محاولة أولية لبيان الأسس التربوية التي ارتكزت عليها حركة التجديد التي قادها الشيخ عز الدين القسام، وقد استلهمت هذه الدراسة في الإطار النظري، من خلال الاستئناس الدراسة التي كتبها الدكتور ماجد عرسان الكيلاني بعنوان " هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس".

والتي أوضحت بشكل عميق تلازم العملية التربوية والسياسية في بناء نهضة الأمم، وقد لوحظ أن العديد من الدراسات التي تناولت الشيخ عز الدين القسام، كان يغلب عليها اهتمامها بالجانب التاريخي والسياسي وعدم النفاذ إلى العوامل الأخرى[1] التي شكلت العوامل العامة التي ساندت حركة الجهاد، ومن ثم فإن الأرضية الاجتماعية التي تنطلق منها هذه الدراسة هي اعتبار الأسس التربوية الأرضية الاجتماعية التي انطلقت منها حركة الجهاد لترسي دعائم حركة إسلامية كبرى مثلت الجذور الأساسية التي ينتمي إليها إنسان المنطقة إلى يومنا هذا.

وفي هذا الإطار تتناول الدراسة الأسس التربوية من منحى تحليلي علها تسهم في دفع باحثين آخرين لتلمس أسس النظرية التربوية عند الشيخ عز الدين القسام ، والمنهج الذي اتبع في نشرها.

- **مشكلة الدراسة:-**

لقد تبلورت مشكلة الدراسة في مجموعة من التساؤلات جاءت على التوالي :

- ما أثر تنشئة الشيخ عز الدين القسام على تكوين شخصيته ؟
- ما أثر تكوينه العلمي في فكره التربوي والجهادي ؟

---

(1) د / أحمد كاني – الجهاد في غرب أفريقيا – القاهرة – الزهراء للإعلام العربي 1407 هـ – 1987 ص 112

- ما أثر الحالة السياسية والدينية والاجتماعية في فلسطين على دوافع القيام بالدعوة والجهاد ؟
- ما المضامين التي قامت عليها دعوة الشيخ القسام ؟
- ما منهج الشيخ في نشرها ؟
- ما الأسس التربوية التي ارتكزت عليها دعوة الشيخ ؟

• **أهداف الدراسة :-**

- تهدف الدراسة إلى وضع تصور لدور التربية الإسلامية، وما يمكن أن تحدثه من تطور في المجتمع الفلسطيني إذا أحسن تعبئتها.
- تحاول الدراسة الكشف عن رموز الفكر التربوي الإسلامي في فلسطين على ضوء المتغيرات.
- تعبر الدراسة عن الدور الريادي للفكر التربوي الإسلامي إذا أحسن تعبئته في تجسيد الهوية والكيان.

• **أهمية الدراسة:-**

- تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز الأسس التربوية في دعوة الشيخ القسام باعتبارها نافذة باتجاه التأصيل الإسلامي للمعرفة ، وأسلمة الحركة التربوية.
- تضيف هذه الدراسة إضافة جديدة للمكتبة العربية والإسلامية لإبرازها الدور التربوي والجهادى في دعوة الشيخ القسام دينياً وسياسياً واجتماعياً ، وهو جانب مهم ومعول عليه في تنشئة الإنسان الفلسطيني.

- منهج الدراسة :-

استخدم الباحث في هذه الدراسة المزاوجة بين المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي، حيث أفاد المنهج التاريخي في استقصاء الحقائق التاريخية التي ترتبط بالدعوة وصاحبها ، والمنهج التحليلي في تحليل فكر الدعوة وربطه بمعتقد الشيخ، ثم استنباط المضامين التربوية .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والاستقصاء لم يقف الباحث إلا على دراسة أعدها الدكتور عادل غنيم بعنوان: ثورة الشيخ عز الدين القسام قد نشرت ضمن مجلة شؤون فلسطينية[1] ، تناول فيها الباحث تاريخ الشيخ ونشأته وجهاده في فلسطين كما أمكن الإطلاع على رسالة ماجستير غير منشورة تحت عنوان (ثورات عرب فلسطين) 1929 م- 1936م (دراسة تاريخية) تناول الباحث فيها السيرة الذاتية للشيخ القسام، ثم تناول الجانب الدعوى والتربوي في بضع صفحات بطريقة لم يبين فيها نظرية الشيخ القسام التربوية، بل اكتفى بذكر بعض أراء أغلبها تدخل في نطاق الدعوة والداعية [2] .

أما بقية الدراسات والكتب التي جرى الإطلاع عليها، فهي تتناول تاريخ الشيخ القسام من جوانب مختلفة مثل: الدينية والسياسية والاجتماعية وقلّما ما يشار إلى الناحية التربوية ويكون ذلك عرضاً، ومع ذلك أمكن الاستفادة من تلك الدراسات والكتب في بلورة موضوع هذه الدراسة وسيظهر ذلك فيما أمكن الاعتماد عليه كمراجع لهذه الدراسة.

---

(1) د / أحمد كاني – الجهاد في غرب أفريقيا – القاهرة – الزهراء للإعلام العربي 1407 هـ – 1987 م ص 112.

(2) عدنان أبو شبيكه – ثورات عرب فلسطين 1929 م- 1936 م(دراسة تاريخية) رسالة ماجستير غير منشورة جامعة النيلين – السودان ص 40 .

"حياة الشيخ عز الدين القسام والظروف المحيطة به"

ولد الشيخ عز الدين القسام سنة 1871م في بلدة جبلة جنوب اللاذقية في سورية [1] في أسره متدينة ذات سمعة طيبة محمودة الاستقامة، [2] وكان والده من المشتغلين بعلوم الشريعة، وقد نشأ الشيخ القسام في بيت من بيوت العلم والأدب فدرس، وتعلم في زوايا الدين وتحديداً في زاوية الغزالي، وقد اهتم والده بنشر العلم من خلال عمله في الكتاب الذي يدرس فيه أبناء القرية أصول القراءة وحفظ القرآن، وهذه البيئة التي عاش فيها القسام ساعدت في أن يتشرب مفاهيم وقيم عائلته ، وأن يحس بميل خاص نحو الشريعة والفقه الإسلامي [3] ،وبعد أن أنهى تعليمه الأساسي أرسله والده إلى الأزهر الشريف عام 1896 م حيث تلقى عن الأمام محمد عبده والعديد من المشايخ والعلماء الذين كان لهم الأثر في تحصيله العلمي "[4] ، وقد عاصر أثناء دراسته في الأزهر الشريف ثورة عرابي التي تركت أثراً عظيماً في نفس القسام ، لأنه وجد في شخصية عرابي القائد الثائر والمصلح الاجتماعي لا الأداة الميتة في العمة والقفطان، وابتعد في تلك الفترة عن طبقة البكاوات والأفندية لعدم قناعته بأساليبهم في النضال والثورة ضد

---

(1) د. محمد عبد القادر أبو فارس : شهداء فلسطين ، دار الفرقان للنشر ط أولى 1990 م عمان الأردن ص 81 .

(2) علي حسين خلف : تجربه عز الدين القسام السورية شئون فلسطينية العدد 124 – بيروت مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية مارس 1982 م ص 82 .

(3) عدنان أبو شبيكة : ثورات عرب فلسطين 1929 م– 1936 م مرجع سابق (دراسة تاريخية) ص 39 .

(4) عادل حسن غنيم / ثورة الشيخ عز الدين القسام – شئون فلسطينية – كانون الثاني يناير 1972م ص 181 .

المستعمر والمحتل"[1] ولقد كان لوجود القسام في مصر ودراسته في الأزهر الشريف أثـرُ في تشكيل شخصية القسام التي تأثرت بالأحداث الجارية والثائرة ضد الظلم وقوى الاستكبار في مصر الأزهر، وقد عرف القسام أثناء دراسته في مصر الاستعمار البريطاني ورأى هجوم المفكرين على الإسلام فكراً وحضارة ، وعايش الصراع الدائر بين هؤلاء المفكرين المسلمين، وفي مصر عرف القسام الكثير عن الحركة الصهيونية وليدة الاستعمار الغربي وربيبته، وسمع عن تطلعاتها وأطماعها في فلسطين [2] وبعد هذه الرحلة الطويلة في طلب العلم ،عاد إلى بلده سورية حاملاً شهادة الأهلية من الأزهر الشريف عام 1903 م بعد سنوات عديدة قضاها في طلب العلم، ثم عكف بعد ذلك على التدريس في جامع السلطان إبراهيم بن أدهم وأخذ دور والده في تدريس أطفال القرية ،وتولى خطبة الجمعة بمسجد المنصوري، ومن خلال المسجد أخذ يشرح لسكان قريته تعاليم الإسلام كما تعلمه وأمن به، ولم يكتف بنشر العلم، بل شارك في حركة الجهاد فانضم إلى جماعة عمر البيطار ، ثم اشترك مع الشيخ صالح العلي في ثورته ضد الفرنسيين 1920م -1921م وأرسلت إليه السلطة الفرنسية رسولاً يعد بتوليته القضاء وبذل العطاء له فرد الرسول خائباً ورفض عرضه، وبعدها حكم عليه الديوان العرفي في اللاذقية بالإعدام [3] ثم اشتدت ملاحقة الشيخ القسام من قبل الاستعمار الفرنسي، وضيقوا عليه لأنه تمرد على الطغيان والظلم في وطنه سوريا، لذلك لم يجد بداً من الرحيل إلى فلسطين عن طريق تركيا وكان قد أجرى اتصالات مسبقة مع صديق قديم له هو الشيخ كامل القصاب ،

(1) أبو شبيكه / ثورات عرب فلسطين مرجع سابق ص 40 .
(2) سميح حموده ، الوحي والثورة – دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1828م – 1935م ط الثانية عمان – دار الشروق للنشر والتوزيع 1986 م ،ص 22 .
(3) عادل غنيم – ثورة عز الدين القسام – مرجع سابق، ص 181 .

وهو من علماء فلسطين ولعب دوراً مهماً في قضية فلسطين[1] ، وهو الذي مهد السبل لخروج الشيخ القسام إلى فلسطين.

" خروج الشيخ عز الدين القسام إلى فلسطيـــــــن "

إن الشيخ القسام لم يرحل إلى فلسطين طلباً للراحة أو جمعاً للمال، وإنما كان زاهداً تقياً صالحاً متواضعاً مجاهداً وكان حب الجهاد متغلغلاً في أعماق قلبه وقتال الأعداء يسري في دمه، لهذا توجه القسام إلى أرض فلسطين في أواخر عام 1925 م كما ذكر عجاج نويهض واستقر في حيفا مرفأ فلسطين الأول وأقرب المدن إلى بيروت ودمشق من غيرها من مدن فلسطين، [2] وقد ذكر سميح حمودة أن دخول القسام إلى فلسطين كان قبل ذلك التاريخ سالف الذكر معتمداً على الوثيقة المقدمة من وجهاء وشخصيات في مدينة حيفا للمندوب السامي البريطاني السير هربرت صموئيل تطالبه فيها بتعيينه الحاج أمين الحسيني مفتياً للقدس والعريضة تحمل من بين تواقيعها توقيع الشيخ القسام المدرس في تلك الفترة وتحمل تاريخ الخامس من نيسان أبريل 1921 م [3] ،وعلى هذا فالمرجح أنَّ دخول القسام إلى فلسطين كان في أواخر صيف عام 1921م ولكنه لم يبدأ حياته المهنية إلا في العام اللاحق الذي اتخذ فيه من مدينة حيفا المحطة الأولى له ومقر السكن والإقامة، وذلك لما تتمتع به من مزايا عديدة ستساعده في تحقيق ما يهدف إليه

---

(1) عوني جدوع العبيدي – ثورة الشيخ العالم المجاهد / عز الدين القسام ، عمان – دار النفائس 1993 م ، ص 18 .

(2) عجاج نويهض ، رجال من فلسطين ما بين بداية القرن حتى عام 1948 م ، بيروت – مطابع الكرمل 1981م ، ص 109

(3) سميح حمودة / الوعي والثورة – دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام – 1828 م – 1935 م ط الثانية عمان – دار الشروق للنشر 1986 م ص 37 .

من نشر للوعي بين صفوف العامة والخاصة، فحيفا كانت في فترة العشرينيات تعتبر ميناء فلسطين الأول وأكثر مدينة في فلسطين استقطبت العرب القادمين من الخارج، وذلك لطبيعتها المنفتحة اقتصادياً واجتماعياً، إضافة إلى أجوائها الرطبة الملائمة للاستقرار والإقامة فيها[1] حيث تبدأ مرحلة نضال جديدة[2] سنواصل معها رحلة القلم في الحديث عن الحالة الدينية والفكرية في فلسطين قبل دعوة الشيخ القسام.

(1) بيان الحوت الشيخ المجاهد عز الدين القسام وتاريخ فلسطين مرجع سابق ص 34 .
(2) بيان نويهض الحوت – الشيخ المجاهد عز الدين القسام وتاريخ فلسطين – بيروت – الاستقلال للدراسات والنشر 1987 م ، ص 33 / 34 .

" الحياة الدينية والفكرية في فلسطين قبل"

" دعوة الشيخ القسام "

عند مناقشة ظروف نشأة الشيخ عز الدين القسام في مجتمع مضطرب عقائدياً وسياسياً، وربط أسباب ذلك الاضطراب بالانحرافات الفكرية ،التي كانت سائدة في تلك الفترة، وأثرت على اتجاهات الناس ومعتقداتهم وبالتالي أوقعتهم في براثن الاستعمار والشرك والضلال، ولعله من المفيد استعراض الحالة الدينية والفكرية في فلسطين بصفة عامة قبل دعوة الشيخ القسام من خلال ما كتبه الأستاذ زياد عودة، فلقد أوضح أن الظروف التي كانت تمر بها فلسطين قبل دعوة الشيخ القسام تلك الفترة تشير إلى الظلم والضلال الذي عم ديار المسلمين من سكان فلسطين ونزل بهم ، وجعلهم حيارى لا يدرون ماذا يفعلون أمام ما يواجهونه من حرمانهم من إدارة بلادهم وتمتعهم بالاستقلال، وحرموا أيضا من حقهم الشخصي في التعليم والتعلم لأمور دينهم ودنياهم [1] ،والأدهى من ذلك، أن السلطات البريطانية الحاكمة فتحت باب الهجرة اليهودية على مصراعيه حيث وصلت البلاد أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود من شتى أنحاء العالم، وتم تعيين اليهود في مراكز حساسة وحيوية في فلسطين وهم الأقلية الصغيرة في البلاد، كما شجعت الحكومة البريطانية في هذه الفترة انتقال مساحات شاسعة من الأراضي العربية لليهود مثل: وادي الحوارث وسهل الحولة[2] ناهيك عن السلب والنهب لخيرات الشعب الفلسطيني وأملاكه من قبل الحكومة البريطانية ومع تفاعل الأحداث كانت هذه الأوضاع

---

(1) زياد عودة / من رواد النضال في فلسطين 1929 م- 1948 م دار الجليل للنشر ط أولى 1987 م عمان الأردن ص 28 .

(2) قسطنطين خمار – الوجز في تاريخ القضية الفلسطينية المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت – لبنان، ط 1966م ،ص 78 .

الخطيرة على الساحة الفلسطينية تتطلب المزيد من الانتباه والحذر والتكاتف والعمل الجاد المنظم لإخراج البلاد من محنتها وللانطلاق بثورة منظمة وقوية لتكون النواة الأولى لتفجير الطاقات الوطنية في فلسطين ضد قوى الشر والظلام، وهكذا يتضح أن الشيخ عز الدين القسام عاصر في نشأته وقبل بدء دعوته ظروفاً اجتماعية وفكرية ودينية وسياسية هي أقرب ما تكون لعصر الجاهلية الأولى، حيث ابتعدت غالبية المجتمع في فلسطين عن تعاليم الدين الحنيف وتأثرت العقول المؤثرات فكرية ساهمت في انحراف فطرة التدين عن مسارها الطبيعي فانتشر الفساد والجهل والبدع والخرافات، ومن هنا فقد حدد الشيخ القسام من خلال مكوثه وقتاً يسيراً في حيفا أشكال الظلم التي يمارسها المستعمر الإنجليزي على أرض فلسطين وأهلها أرض الإسراء والمعراج، فقرر أن يختط خط الدعوة والجهاد المنظم والمنضبط ضد هؤلاء الغادرين الماكرين المراوغين الشياطين، وكان للشيخ عز الدين القسام رحمه الله قنوات متعددة للاتصال بالناس على اختلاف قطاعاتهم وثقافتهم ومستوياتهم التعليمية من خلال دعوته الفكرية والتربوية والجهادية التي سنواصل حديثنا عنها.

دعوة الشيخ القسام:

أخذ القسام ومنذ عام 1926 م يخرج إلى القرى والمدن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستنكر البدع والخرافات وكل الأعمال التي تفضي إلى الشرك، كان يستغل عمله كمأذون شرعي من قبل المحكمة الشرعية، فكان يحضر حفلات الأعراس ومن خلالها يدعو الناس إلى المحبة والوئام ونبذ الأحقاد والعودة إلى مبادئ الدين، فكان يرى بأن الخلافات القبلية والعشائرية التي لا زالت تعاني منها البلاد هي أحد أسباب تأخر الأمة، وكان اختلاط القسام بالناس فيه دراسة لأوضاعهم ومدى استعدادهم لحمل

راية الجهاد ضد الأعداء[1] ، كما فطن إلى جهة أخرى هي طبقة الشباب المسلم المثقف الذين يجتمعون في جمعية الشبان المسلمين، فقدم طلباً لهذه الجمعية يبدى رغبته بالانتساب إليها والعمل معها والمشاركة في أنشطتها وكان ذلك سنة 1926م فوافقت الهيئة الإدارية على ذلك.

ولقد كان رحمه الله اجتماعياً محبوباً لكل من يجتمع به، وكان هذا الخلق مع تواضعه وعلمه يزيد الناس تأثراً به وتعلقاً بما يدعو الناس إليه[2] ،والحق أن الشيخ عز الدين القسام رحمه الله كان زعيماً إسلامياً شعبياً محبوباً للناس على اختلاف مستوياتهم في المدينة والقرية، لقد ساعدت كل هذه العوامل بشكل فعال في استجابة الناس لدعوة القسام إلى المحبة والوئام ونبذ الأحقاد والعودة إلى مبادئ الدين،لهذا ربط القسام من خلال عمله كمدرس لمدرسة البرج الإسلامية النشاط المدرسي للتلاميذ بسيرة الأبطال المسلمين أمثال صلاح الدين الأيوبي وغيره، وأثناء تدريسه للطلاب حرص القسام على أن يلفت نظرهم للدور المستقبلي الذي يجب أن يقوموا به تجاه أمتهم ودينهم، وبهذا الأسلوب يمزج القسام بين المبادئ الأساسية للمنهج التربوي وبين التحديات الخطيرة التي تواجه المسلمين والعرب، وبهذا الأسلوب نال القسام سمعةً طيبة بين الأهالي لا تقل أهمية عن أعظم رجال حيفا وأقدرهم من سكانها الذين عاشوا فيها عشرات السنين[3] وكان لتولي القسام الإمامة في مسجد الاستقلال في حيفا أثره في أن جيلاً من رواد هذا المسجد جعلوه مناراً للتوعية ولم يكن القسام مجرد واعظ يرشد الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل كان أبرز الأئمة بعداً عن التزمت المغرق، بل

(1) عوني جدوع ثورة الشيخ العالم المجاهد عز الدين القسام ، مرجع سابق ، ص 23/22 .
(2) د/ محمد عبد القادر أبو فارس شهداء فلسطين ،مرجع سابق، ص 83 .
(3) عز الدين إسماعيل وأخرون / عز الدين القسام – بيروت – دار العودة ، ص 21 .

استثمر المنبر والحلقات للتربية والتحريض والتعبئة [1] وفي دعوته حذر الشيخ القسام من التساهل مع الهجرة اليهودية، ودعا إلى الجهاد في سبيل الله للدفاع عن أرض الإسراء والمعراج، وكان رحمه الله يحز في نفسه تقاعس بعض العلماء عن قول كلمة الحق ومقارعة أهل الباطل، ويأخذ على بعض الذين عاصروه انشغالهم بالدنيا والوظائف والمراكز عن الجهاد، ودعوة الناس إليه وتربيتهم تربيةً جهادية، وكان ينكر على المسؤولين عن الأوقاف تبذير الأموال وإنفاقها فيما لا طائل تحته ولا فائدة عامة فيه[2] كما هاجم الشيخ القسام سياسة المجلس الإسلامي الأعلى في تزيين المساجد وبناء الفنادق وكان وجهة النظر أن تتحول هذه النفقات إلى شراء الأسلحة للمقاومة وتدريب المجاهدين[3] لإعلاء كلمة الله، ويمكن نظره لإسهام الشيخ القسام من خلال دعوته للأتي:-

- نجاحه في خلق فئة عالمه عاملة ومقتدرة من أبناء فلسطين.
- نجاحه في كسب القواعد الشعبية ، فتوافر بذلك مشروع القيادة القاعدة، وكذلك ما يسمى في عصرنا الحاضر الأيدلوجية أو الرؤية الفكرية الشاملة، ومما يسّر له ذلك وسطيته وإلمامه بفكر السلف، مما مكنه من فتح قلوب عامة الناس وصفوتهم، ولعله من المفيد قبل مناقشة نظرية الشيخ في دعوته التعرف إلى عقيدته التي انطلق منها.

---

(1) على حسن خلف – تجربه عز الدين القسام جامع الاستقلال 1922م – 1935 م ، شئون فلسطينية العدد 126 بيروت، مركز الأبحاث في م ت ف، مايو 1982م، ص 88 .

(2) د / محمد عبد القادر أبو فارس / شهداء فلسطين مرجع سابق ص 83 .

(3) سميح حمودة/ الوعي والثورة دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام مرجع سابق ص 51.

عقيدة الشيخ عز الدين القسام :

من خلال الإطلاع على فعاليات الشيخ القسام في دعوته يمكن استنباط الأمور التالية :

أولاً الاتباع في المعتقد :-

وهذا واضح من قوله بأنه يعتقد ما تعتقده الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان بالقدر خيره وشره [1].

ثانياً في المشيئة الإلهية:

يؤمن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شئ إلا بإرادته وهذا واضح من قوله " لا يصيبنا إلا ما كتب الله علينا " [2].

ثالثا في الإيمان:

يقرر أنه قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

رابعاً في الرسالة المحمدية:

يؤمن بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الدنيا والآخرة.

خامساً في الجهاد :

يرى أن الجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمداً إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال[3].

---

(1) عوني العبيدي / ثورة الشيخ عز الدين القسام ، مرجع سابق ،ص ، 32.

(2) بيان نويهض الحوث - الشيخ المجاهد عز الدين القسام وتاريخ فلسطين - بيروت - الاستقلال للدراسات والنشر 1987 م ص 33 / 34 .

(3) عدنان أبو شبيكه / ثورات عرب فلسطين ،مرجع سابق ، ص 40 .

سادساً في الإمامة :

يرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمر بمعصية الله، هذا، ولاستيضاح الجوانب العقائدية التي تصدر عنه في دعوته فقد يكون من المفيد استعراض مضمون دعوة الشيخ القسام.

مضمون دعوة الشيخ القسام:

مما تقدم يتضح أن الدعوة لم تأت من فراغ ولم تكن دوافعها تحقيق مجد أو نفع خاص لكن القناعة التي وصل إليها الشيخ القسام من أن العقيدة الإسلامية في شكلها السائد في المجتمع الفلسطيني ، أو في المجتمعات التي وصل إليها في رحلاته تفرض قيام دعوة يتحدد مضمونها في الدعوة إلى إحياء الدين والدفاع عن السنة وتبديع الخارجين عليها بقوله: "أيها المؤمنون أين نخوتكم؟ أين أيمانكم؟ أين هي مروءتكم"[1] ومن خلال الاطلاع على دعوته يتحدد أيضاً مضمون الدعوة فهي دعوة إلى توحيد الله وإقامة شريعته في الأرض ، وفي افتتاحية كل حديث له إشارة إلى الغاية من خلق الجن والإنس، كما تحدد في قوله تعالى: " **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** "[2] ، ثم تحديد مهمة الرسل في قومهم: [**(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ..)**]"[3].

وحول مضمون الدعوة، يذكر الدكتور محمد أبو فارس بأن الشيخ رحمه الله كان يركز على أن الفوز الحقيقي للمؤمن يكون بالنجاة من النار والفوز بالجنة، وطريق ذلك الجهاد وبذل النفس والمال، وكان يكثر من الاستشهاد بقوله تعالى : "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ**

---

(1) د/ محمد أبو قارس شهداء فلسطين مرجع سابق ص 86 .
(2) سورة الذاريات آية 56 .
(3) سورة النحل آية 36 .

الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [1] ويذكرهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سُئل أي الناس أفضل؟ قال: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله" ويكثر من الاستشهاد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها" [2].

وكان رحمه الله يركز في دروسه على تفسير آيات الجهاد وأحاديث الجهاد"[3].

لهذا كانت حركه الشيخ القسام الجهادية فقيرة جداً من الناحية المالية كما أخبر حسن البابر والشيخ نمر السعدي المسؤول عن الناحية المالية في الحركة الجهادية[4] ، ولعله بهذا يربط بين طبيعة الدعوة والميراث الإسلامي ودور الدعوة في نشر عقيدة التوحيد التي هي في الأصل عقيدة المجتمع الإسلامي، فهي دعوة في نطاق حقيقة الإسلام كما نزل به الوحي وأبانه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الأساس الذي قامت عليه حركة التجديد عند الشيخ القسام.

منهج الشيخ عز الدين القسام في نشر الدعوة:

إن طبيعة المنهج الذي قام عليه نشر الدعوة تم اشتقاقه من النظرية التي قامت عليها، فهو منهج إسلامي يقوم على الكتاب والسنة قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [5]

---

(1) سورة التوبة آية 111 .

(2) أخرجه البخاري في صحيحة – كتاب الجهاد والسير (2578) .

(3) عوني العبيدي ثورة الشيخ عز الدين القسام مرجع سابق ص 28 – 31 .

(4) دار العودة ، عز الدين القسام أبو الفدائيين العرب ط 1975 م بيروت ص 74 .

(5) سورة أل عمران آية 104 .

وروي عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه لا يستجاب لكم" رواه أبو داود والترمذي [1] وهذا هو المبدأ الذي حكم المنهج، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر إسلامي وممارسته محكومة بقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [2] .

وهكذا يتضح أن منطلق منهج الدعوة هو منطلق إسلامي تمثل فيه الشيخ عز الدين القسام الشروط التي حددها ابن تيمية في مؤلفه "الحسبة في الإسلام لمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وهي العلم بماهية الأمر بالمعروف وماهية النهي عن المنكر، وأن يكون رفيقاً في طريقته وان يكون صبوراً على ما قد يترتب على القيام به من أذى [3] ولذا كانت بداية الدعوة عن طريق السلم باستخدام الحجة والدليل من القرآن والسنة امتثالاً لأمر الله بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة من أجل إعلاء كلمة الله وتحرير الأرض المغتصبة، وهذا يدخل ضمن إطار أركان الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

الأسس التربوية في دعوة الشيخ القسام:

يرتبط التعامل بالتاريخ إلى ما يعرف اليوم بتنمية الإدارة في صناعة التاريخ وبإدراك أن التاريخ ليس أقداراً حتمية لا يد للإنسان فيها، بل هو نتاج للإرادة البشرية، فهناك رجال صنعوا التاريخ من أمثال الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المصلحين، وهنا لا بد من التربية التي تتعامل مع التاريخ تعاملاً تداخلياً إيجابياً،

---

(1) حديث رواه أبو داود والترمذي .

(2) سورة النحل: آية: 125 .

(3) د/ على المصوري – مضامين تربوية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – مجلة التربية المعاصرة العدد الثلاثون يناير 1994 الناشر / دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ص 161 .

بحيث يمكننا أن نجعل نظرتنا إلى التاريخ لا تؤدي إلى نتائج نظرية بل إلى نتائج تطبيقية تتصل بسلوكنا في الحياة، فهي التي تحدد مواقفنا أمام الأحداث، وبالتالي أمام المشكلات التي تنجم عنها، وبقدر ما ندرك أسبابها نقيسها بالمقياس الصحيح لنرى فيها منبهات لإرادتنا وموجهات لنشاطنا، وبقدر ما نكشف من أسرارها نسيطر عليها بدلاً من أن تسيطر علينا لأننا حينئذ نعلم أن الأسباب التاريخية كلها تنبع من أنفسنا وأرادتنا في تغيير الأشياء[1] لهذا كانت دعوة الشيخ القسام تهدف إلى تغيير ما آل إليه حال الناس، ومن هذا المنطلق يمكن اعتبارها في مبادئها وأهدافها والأسس التي تقوم عليها دعوة تربوية جهادية، فالتربية بمعانيها تهدف إلى تعديل السلوك بحيث يظهر ذلك في الأقوال والأفعال وإلا فقد الطريق إلى معرفة الله وما شرعه لعبادته ومعرفة حقيقة الدين بصفة عامة، وهو العلم، وهذا ما مارسه الشيخ عملياً حيث جلس للدرس والتأليف والإفتاء والتربية الجهادية، وهكذا يتضح أن الدعوة تهدف إلى نشر المعرفة في مجال التربية القصدية وتصحيح معتقد الناس وإعداد جيل من المجاهدين يساهمون في نشر الدعوة وتحرير البلاد والعباد من يد القوى الصليبية الصهيونية المغتصبة لأرض فلسطين.

وقد اتخذ الشيخ لنفسه نظرية تربوية ينطلق منها في دعوته وتعليمه وتربيته لأتباعه أساسها معرفة الخالق سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة له وتطهير العقول مما علق بها من خرافات، واكتساب العلم النافع وهو في نظريته يعول على جانب مهم في فلسفة تكوين الإنسان باعتباره أداة التغيير في المجتمع والأداة التي تساعد على التغيير وتحري الحقيقة بعيداً عن الظن والتخمين، ومن خلال تحليل فكر الدعوة عند الشيخ القسام يمكن استنتاج ثلاثة جوانب تربوية هي:-

---

(1) قسطنطين خمار - الوجز في تاريخ القضية الفلسطينية المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - لبنان ط 1966 ص 78 .

أولاً – الأساس الفكري أو الفلسفي وهو مصدر اشتقاق النظرية التربوية في فكر الدعوة، وفي نفس الوقت يمثل الفلسفة العامة أو الفكر العام الذي انطلقت منه الدعوة، وقد تمثل ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية فهما أساس الدعوة والتربية والتعليم في المجتمع الفلسطيني الذي ينشده الشيخ القسام، وهذا يعكس طبيعة التنشئة التي نشأ عليها الشيخ في تربيته وطبيعة البناء الفكري الذي ساهم في تكوين شخصيته [1] وطبيعة التطلعات نحو التغيرات الاجتماعية التي يطمح أن تسود مجتمعه والمجتمعات المجاورة بل المجتمع البشرى كله.

فالقرآن الكريم يشكل مصدراً فريداً ومتميزاً للتربية لا يعتريه نقص[2] "(**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**)" [3] فهو يمثل نظاماً تربوياً يحقق للإنسان حياة سوية مستقرة وينير له الطريق نحو الخير والفضيلة، فالتربية الإسلامية تبصر الإنسان بنفسه ليدرك حكمة الغاية من خلقه، وكيفية تحقيق تلك الغاية والأحكام والشرائع التي تحكم ذلك، كما تعرف الإنسان بمكانته في هذا الكون وسر التكريم الذي تفرد به وجعله يتعلم أسس تنظيم الحياة الاجتماعية والعلاقات التي تحكمها على مستوى الأفراد والجماعات وتمكنه من استغلال ما سخره الله له في هذا الكون [4].

أما بالنسبة للسنة النبوية فهي التطبيق العملي للمنهج القرآني ولذا كان القرآن والسنة هما لحمة البناء التربوي الإسلامي الذي طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وعايشه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الخلفاء والأمراء الصالحين"[5] وهكذا كان

---

(1) عدنان أبو شبيكة – ثورات عرب فلسطين مرجع سابق ص 45 .

(2) عبد الله السمان : التربية في القرآن الكريم – دار الاعتصام 1979 م ص 15 .

(3) قرأن كريم سورة فصلت آية 45 .

(4) د / صلاح الدين حماد التربية الإسلامية ومدارسها الفكرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق ط 1997م غزة ص 46.

(5) أبو لبابه حسين ، التربية في السنة النبوية ، دار اللواء الرياض 1403 هـ ص 7 .

التوافق الفكري أو الفلسفي بين النظرية التي قامت عليها الدعوة والنظرية التربوية في فكر الشيخ القسام الذي كان في مقدمة أولوياته الاهتمام بالتربية الجهادية حتى يتمكن من إقامة مجتمع إسلامي يصمد في وجه التحديات الخارجية الطامعة والمغتصبة لأرض فلسطين، وحتى يحكم الكتاب والسنة في كل أمور المجتمع الذي يرى الشيخ أنه لا يكون مجتمعاً سليماً إلا إذا شب العامة فيه على معرفة الدين علماً وعملاً[1] وكما عبر عنها الدكتور أبو فارس على النحو التالي:

- الرجوع بتطبيق تعاليم الإسلام إلى ما كان عليه في الصدر الأول.
- إخلاص التوحيد لله وتخليص هذا التوحيد مما شابه من شرك.
- إعداد العدة للعمل الجهادى المنظم من خلال التعبئة العامة التي كان يقودها من جامع الاستقلال بحيفا بقوله [2] يا أهل حيفا يا مسلمون ألا تعرفون فؤاد حجازي ألم يكن فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم إخوانكم؟ ألم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال ؟

إنهم الآن على أبواب المشانق ؟ حكم عليهم الإنجليز بالإعدام من أجل اليهود أيها المؤمنون.

أين نخوتكم ؟ أين إيمانكم أين هي مروءتكم، وقد كانت هذه الكلمات الصادرة من القلب وقوداً روحياً للمجاهدين الذين كانوا يرددون الله أكبر مستذكرين قول فؤاد حجازي في السجن.

يا ظلام السجن خيم إننا نهوى الظلام ..... ليس بعد السجن إلا فجر بدر يتسامى

---

(1) قسطنطين خمار – الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت – لبنان ط 1966 م ، ص 79 .

(2) د/ محمد أبو فارس – شهداء فلسطين مرجع سابق ص 87 .

وقال في خطبته : إن الصليبية الغربية الإنجليزية والصهيونية الفاجرة اليهودية تريد إبادتكم أيها المسلمون حتى يحتلوا أرضكم من الفرات إلى النيل ويأخذوا القدس ويستولوا على المدينة المنورة يا ويلكم ألا تفهمون ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا ديس شبر من أرض المسلمين فعلى المرأة أن تخرج بغير إذن زوجها وعلى الولد أن يخرج بغير إذن أبيه [1] يلاحظ أن هذه الأهداف تتوافق مع ما جرت الإشارة إليه أثناء مناقشة النظرية التي قامت عليها الدعوة في جانبها النظري، كما يلاحظ أن اهتمام الدعوة في تربيتها ينصب على الجانب العقدي الجهادي، وكان لهذا ما يبرره في فلسطين ولم يغفل الشيخ القسام عن أهمية رقي المجتمع ، ولكنه ربط ذلك بالتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

ثانياً - الأسس التربوية التي أمكن استخراجها من فكر الدعوة وهذه الأسس هي :-

- مبدأ نشر وتعميم تعاليم العقيدة للأميين:-

وهذا المبدأ يرتبط بمبدأ يحضّ عليه الدين الإسلامي، وهو مبدأ الإلزام التعليمي [طلب العلم فريضة على كل مسلم] [2] فلقد حرصت الدعوة على إلزام الأميين بتعلم أمور دينهم في مجال العقيدة والأحكام، وذلك وفق منهج يناسب طبيعة هذه الفئة التي يطلق على برامج تعليمهم في المفاهيم التربوية الحديثة تعليم الكبار ومحو الأمية [3] ، وفي هذا المجال يرى الشيخ أنه إذا أمكن تلقين هؤلاء الكبار مبادئ عقيدتهم بالتركيز على أن الفوز الحقيقي للمؤمن يكون بالنجاة من النار والفوز بالجنة وطريق هذا الجهاد وبذل النفس والمال مذكرهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سُئل أي الناس

(1) شوقي أبو خليل - الإسلام وحركات التحرر العربية ط أولى 1976 - دار الرشيد ص 211 .
(2) سنن ابن ماجة ج 1 ص 81 .
(3) أ. د شكري حلمي وأخرون التربية والمجتمع ط 1998 ص 128 .

أفضل: قال مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله[1] ويكثر من الاستشهاد بقول الرسول " لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها "[2] لهذا كانت رسالة الشيخ القسام التربوية حول هذا المبدأ تتميز بسهولة أسلوبها الذي يقوم على الحوار وبناء الشخصية الإسلامية السوية التي يكون ارتكازها حول معرفة أساسيات العقيدة. ولقد أنشأ رحمه الله مدرسة ليلية لمكافحة الأمية مزج فيها بين العلوم ودروس الجهاد فخرج منها جيل قد مهروا القراءة والكتابة وتعلقت أنفسهم بالجهاد [3].

2- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

وهذا المبدأ هو الأساس في نشر الدعوة وهو فرض عين بنص الكتاب والسنة، وعلى هذا المبدأ كان منهج الشيخ عز الدين القسام في إيصال فكر الدعوة وتعاليمها للناس وعلى هذا المنهج أيضاً واصل تلاميذه وأتباعه مسيرة الدعوة مسترشدين بقولة تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [4]

وهذا المبدأ من منظور تربوي هو الأساس في تقويم سلوك أفراد المجتمع، ونشر القيم الإسلامية التي تحفظ للمجتمع وحدته وتصون تماسكه وتأصيل العادات والتقاليد الإسلامية وزيادة الوعي بضرورة التخلص من كل السلوكيات التي تتعارض مع معتقدات المجتمع ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر من مقومات الجانب الأخلاقي في التربية الإسلامية، إن لم يكن هو الأساس لهذا الجانب الذي يحدد استقامة الأفعال الإنسانية بحيث يشمل كل التصرفات التي يقوم بها الإنسان، وذلك باعتبار أن القيم الأخلاقية هي الأداة الموجهة للحياة وتأصيلها في السلوك يستلزم تحديد مظاهر ذلك

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير (2578) .
(2) أخرجه البخاري في كتابه الجهاد والسير (2583)
(3) محمد أبو فارس شهداء فلسطين مرجع سابق ص 82.
(4) النحل آية 16.

السلوك وأنواع النشاط الذي يمارسه الفرد، وهنا يظهر أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تربوياً.

3- مبدأ الرحلة في طلب العلم :-

وهذا المبدأ من المبادئ التربوية التي عرفت عند المسلمين منذ زمن بعيد، وقد تحدث القرآن الكريم عن رحلة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر في طلب العلم والمعرفة (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) [1] وقد تبلور هذا المبدأ بشكل أكثر تنظيماً في العصر الحديث، حتى أصبحت البلدان التي لا تتوافر لها مؤسسات علمية عليا لبعض التخصصات تبعث بالعديد من أبنائها إلى البلدان التي بها مثل تلك المؤسسات لطلب العلم، وبالنسبة للشيخ القسام فقد طبق هذا المبدأ على نفسه وقد ظهر أثر رحلاته في طلب العلم ما كان منها داخل بلاد الشام أو خارجها في جامع الأزهر فقد كان لرحلاته أثر في تكوين فكره العقدي نتيجة ما تعلمه من علوم شرعية في الأصول والفروع، ولقد كانت هذه الرحلة من ضمن المؤثرات التربوية الجهادية في حياة الشيخ القسام [2].

4-مبدأ اقتران القول بالعمل:-

إن منهج التربية الإسلامية يرتبط فيه القول بالعمل والنظر بالتطبيق، وذلك باعتبارها تربية تستمد مبادئها وأهدافها والأسس التي تقوم عليها من تعاليم الدين الإسلامي فهي تربية تجمع بين العقيدة والعلم وبين الإيمان والعمل، وهذا ما أشار إليه الشيخ عز الدين القسام في عقيدته عندما قرر أن الإيمان: قول باللسان وعمل بالأركان

---

(1) سورة الكهف آية 66 .

(2) عدنان أبو شبيكة – ثورات عرب فلسطين مرجع سابق ص 40 .

واعتقاد بالجنان، وهذا ما طبقه فعلاً في دعوته فهي إحياء لشرع الله وتجديد لسنة رسوله [1] .

وهذا يحدد طبيعة الشيخ القسام على ضوء هذا المبدأ بصفات انفرد بها عن غيره في عصره فقد عرف عنه حب العمل والتفكير لفترات طويلة وهذه الميزة أثرت فيه من حيث أنها أصبحت لديه القدرة على فهم الأحداث التي بدوره حوله وتحليلها وإدراك الأسباب والكوامن الأساسية خلفها[2] وهذا بدورة يحدد ماهية التربية الإسلامية التي طبقها الشيخ القسام ودعا إليها، فهي تربية عقلية وفكرية وهي تربية جهادية وسلوكية، فالنطق بالشهادتين يمثل قناعة عقلية لكنه يتطلب سلوكاً عملياً يؤكد حقيقة القناعة العقلية وإلا كان ممن ينطبق عليه قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ،كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)** [3] والعمل في هذا المبدأ لا يقتصر على العمل بل يشمل كل نشاط المسلم **(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)** [4] .

- **مبدأ الجهاد في سبيل الله:-**

ومبدأ الجهاد من المبادئ التي تؤكد عليها التربية الإسلامية باعتبارها فريضة هدفها إعلاء كلمة الله وتحطيم الطواغيت الذين يستعبدون خلقه، ولقد حضَّ القرآن الكريم على الجهاد في قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

---

(1) بسام العسلي ، ثورة الشيخ عز الدين القسام – بيروت – الديوان للطباعة والنشر والتوزيع 1991 م ص 23.

(2)سلسلة أبطال العرب ، عز الدين القسام – بيروت ، دار العودة1986 م ، ص 96.

(3). الصف آية 2 – 3 .

(4) التوبة آية 105.

الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) [1] والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار) [2] لهذا أكدت الدعوة على إقامة هذه الفريضة، وهذا ما وضح في سياق حديث الشيخ عز الدين القسام حيث قال الفوز الحقيقي للمؤمن يكون بالنجاة من النار والفوز بالجنة وطريق هذا الجهاد وبذل النفس والمال [3] وكان يكثر من الاستشهاد بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [4] ولذا كان دور الدعوة والتربية عند الشيخ القسام غرس هذا المبدأ العظيم في نفوس الناشئة والحض على الجهاد والترغيب فيه.

ثالثاً - الآراء التربوية في فكر الدعوة:-

من خلال دراستنا لفلسفة الدعوة عند الشيخ عز الدين القسام، أمكن التعرف على بعض الآراء التربوية للشيخ وذلك على النحو التالي :-

أولاً - رأي الشيخ في العلم :-

يرى أن العلم النافع هو الذي يقود الإنسان إلى معرفة الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وتقريراته فهو الذي قال (اللهم انفعني بما علمتني وعلمني بما ينفعني وزدني علماً والحمد لله

---

(1) الحج أية 78.

(2)سنن الدارمي ج 2 ص 202 .

(3)د. محمد أبو فارس : شهداء فلسطين مرجع سابق ص 75.

(4)التوبة آية 111.

على كل حال" [1] وهذا لا يعني أن الشيخ القسام كان خصماً لما عدا علوم الدين ، فقد حرص على نشر العلوم المرغوبة والاطلاع الواسع والنهل من كتاب الله بعد حفظه ، ثم انفتح على الناس معلماً ومرشداً وواعظاً بلسانه وقلمه ثم اضطر إلى إعلان الجهاد حين دفع إليه دفعاً فلم يكن الشيخ رجل حرب أو قتال ولم ينح هذا النحو وإنما اضطر اضطراراً للجهاد دفاعاً عن الدين والأرض والنفس، لذلك ذاع صيته وانتشر اسمه وأصبح مقصداً للعديد من المتعلمين والمثقفين [2] .

وقد أنشأ الشيخ القسام رحمه الله مدرسة ليلية لمكافحة الأمية يقوم من خلالها بتعليم الأميين وهذه المدرسة مكنته من الاتصال بقطاع آخر من الناس وصنف تغلب عليهم البساطة وسرعة الاستجابة، وكان في دروسه رحمه الله يمزج بين العلوم والتربية الجهادية فتخرجوا وقد مهروا فنون التعلم وتعلقت أنفسهم بالجهاد [3].

ثانياً - في الدعاة والمعلمين :-

لقد حدد رأيه في الدعاة والمعلمين من خلال تمثله أقوال العلماء في هذا الشأن وهو ضرورة التحلي بثلاث صفات هي: معرفة ما يأمر به وينهى عنه، وأن يكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه، وأن يكون صابراً على ما يأتيه من الأذى [4] .

كما يرى أهمية تواضع العلماء والعمل بما علموا لهذا كان الشيخ القسام محبوباً لكل من يجتمع به وكان هذا الخلق مع تواضعه وعلمه يزيد الناس تأثراً به وتعلقاً بما يدعو الناس إليه، والحق أن الشيخ القسام كان زعيماً إسلامياً شعبياً محبوباً للناس على

---

(1)ابن ماجة السنن ج 2 ص 92.
(2)جمال ستوم – وضاعت بلادي د القدس مطابع الدفاع ص 201.
(3)محمد أبو فارس شهداء فلسطين مرجع سابق ص 82.
(4)محمد الغزالي : علل وأدوية – دار الدعوة ط يونيو 1991 م ص 57 .

اختلاف مستوياتهم في المدينة والقرية[1] كل هذه العوامل ساعدت بشكل فعال في استجابة الناس لدعوة القسام الجهادية فالتف الناس حوله وأدركوا مراميه وأهدافه ووثقوا بقيادته وأمانته وإخلاصه، لا سيما وهو يدعو الناس ويجمعهم على رابطة هذا الدين وأخلاق سيد المرسلين حيث المحبة والتواضع والكرم والشجاعة والجهاد يؤلف بين القلوب وينبذ من النفوس التذمر والتشاحن والاختلاف.

إلا أنه كان يحز في نفسه تقاعس بعض العلماء عن قول كلمة الحق ومقارعة أهل الباطل ويأخذ على بعض الذين عاصروه انشغالهم بالدنيا والوظائف والمراكز عن الجهاد ودعوة الناس إليه وتربيتهم تربية جهادية[2] كما كان ينكر على المسؤولين عن الأوقاف تبذير الأموال وإنفاقها فيما لا طائل تحته ولا فائدة عامة فيه [3] كل هذه العوامل والأساليب كان لها الأثر في نشر الدعوة وتربية تلاميذها واتباعها بشكل فاعل كان له امتداده التاريخي والتربوي على أرض فلسطين ومن ذلك.

- التعلم بالقدوة :

وقد وضح هذا من خلال تأثر الشيخ في تكوين فكره العقدي بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي عايشها دراسة وتمثلها فكراً وحث أتباعه على الاقتداء بمحتواها عملاً بقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)، (الأحزاب 21).

- التعلم بالقصص :

والقصص القرآني من أرقى الأساليب التربوية في مجتمع الأمة الإسلامية لما يحدثه من تأثير في النفس بالمستمع إلى التخلص من نزعات الشر ويحرك فيه دوافع الخير، كما أن

(1)دار العودة – عز الدين القسام أبو الفدائيين العرب مرجع سابق ص 83.
(2)د/ محمد أبو فارس – شهداء من فلسطين مرجع سابق ص 83.
(3)جمال ستوم – وضاعت بلادي د القدس مطابع الدفاع ص 201.

الأسلوب القصصي له أهمية تربوية في أخذ العبرة من الأحداث التي تتحدث عنها تلك القصص قال تعالى)لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: 111) وهذا ما أكدّه الشيخ في منهجه التربوي والجهادى[1].

- التعليم بالترغيب والترهيب .

وهذا الأسلوب يعتبر وسيلة الداعية أو المربي الذي بواسطته يستثير في المتعلم الرغبة والإقبال على تعلم السلوكيات التي تحقق نتائج مسرة والإعراض عن تلك التي تكون مؤلمة قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت: 46) وقد وضح هذا الأسلوب في دعوة الشيخ القسام من خلال حرصه على رد الناس إلى الطريق المستقيم[2].

* زهده في السلطة :-

لقد كان الأتباع يزدادون تعلقاً بشيخهم يوماً بعد يوم ويتمسكون بإرشاده وتوجيهه، ذلك لما لمسوه منه من صدق التوجه وزهده في السلطة مجسداً ذلك قولاً وعملاً فقال إنه لم يرحل إلى فلسطين طلباً للراحة أو جمعاً للمال وإنما كان زاهداً تقياً صالحاً متواضعاً مجاهداً، حب الجهاد تغلغل في أعماق قلبه وقتال الأعداء يسري في دمائه[3] هذا العمل يسر له الاتصال بسائر فئات المجتمع الغني والفقير الموظف والشرطي والمعلم والتاجر وسائر فئات المجتمع يوجههم بدروسه وخطبه ويعبئهم جهاداً ويربيهم التربية الإسلامية المتكاملة، فهم تلاميذ يتتلمذون على يد إمامهم الزاهد المتواضع المجاهد العالم

(1) دار لدعوة – عز الدين القسام أبو الفدائين ، مرجع سابق ، ص84.
(2) نفس المرجع السابق ، ص 84.
(3)محمد أبو فارس : شهداء من فلسطين مرجع سابق ص 83.

العامل، كل هذه العوامل ساعدت بشكل فعال في استجابة الناس لدعوة القسام الجهادية فألتف الناس حوله وأدركوا مراميه وأهدافه ووثقوا بقيادته وأمانته وإخلاصه ولاسيما وهو يجمعهم على أخلاق هذا الدين وسيرة آخر المرسلين.

شخصية الشيخ القسام:

لهذا فقد امتازت شخصية الشيخ القسام بصفات القائد الإسلامي والمربي المثالي فقد كان عالماً فقيهاً مفكراً كما كان قائداً عسكرياً يضع الخطط ويقود المعارك، مما أكسبه ثقة أتباعه وبث فيهم روح الفداء وحب الشهادة، فقد توافرت في الشيخ كل صفات القيادة الإسلامية الناجحة التي عرفها د / هشام الطالب بقوله: إنها عمليه تحريك مجموعة من الناس باتجاه محدد ومخطط وذلك بتحفزهم على العمل باختيارهم[1] وقد جسد الشيخ القسام هذه الحقيقة في الاتجاه الذي يحقق مصالحهم على المدى البعيد وقد يكون ذلك اتجاهاً عاماً مثل نشر الدعوة الإسلامية أو اتجاهاً محدداً مثل عقد مؤتمر أو ندوة، ومهما كان الأمر فإن الوسائل والغايات يجب أن تخدم المصالح الكبرى للناس المعنيين حاضراً وعلى المدى البعيد، ووفقاً للتحليل السابق فإن الشيخ القسام لم يكن ساحراً ولا نبياً إنما كان مصلحاً مجدداً توافرت فيه صفات القائد الناجح من صدق واستقامة وابتكار وتلاؤم مع الظروف المستجدة التي كان يتميز بها الشيخ القسام باعتباره قائداً وداعية ومربياً.

ومن ثم فقد ارتبط التعامل بالتاريخ في فكر الشيخ القسام بما يعرف اليوم بتنمية الإدارة البشرية [2] وأحد أسسها التربوية التي تجسد القدوة والتفاعل مع الأحداث

---

(1)د/ هشام الطالب / دليل التدريب القيادي – سلسلة التنمية البشرية – دار المستقبل – الجليل فلسطين ط 1998 ص 49.

(2)د/ صلاح حماد – اليقظة والتحدي للغزو الفكري في غرب أفريقيا دراسة تربوية قدمت إلى الجامعة الإسلامية بالنيجر سنة 1991 – ص 28 .

الجسام على أرض فلسطين التي استشهد الشيخ القسام من أجلها دفاعاً عن عروبة أرض فلسطين وإسلاميتها ومقدساتها وكان استشهاده في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1935 بداية النهاية للثورة الكبرى لشعب فلسطين عام 1936م.

خاتمة الدراسة

من كل ما سبق نخلص إلى أن هناك عدة عوامل قد ساهمت في تكوين شخصية الشيخ القسام وفكره منها:-

- نشأته في بيئة أسرية عرفت بالعلم والصلاح.
- ملازمته لمجالس العلم والدراسة وتمرسه في أمور التدريس.
- رحلاته العلمية التي كان لها جانب إيجابي في صقل شخصيته التي تأثرت بشخصيات قيادية إسلامية ثائرة على الظلم والظالمين.

هذه العوامل مجتمعة شكلت فكر الشيخ العقائدي والتربوي ولعبت دوراً هاماً في تشكيل دوافع القيام بالتربية الجهادية وإعلان الجهاد المقدس في أرض فلسطين امتداداً لسلسة تاريخية استمرت إلى يومنا هذا تربيتةً وجهاداً في أرض الإسراء والمعراج التي بارك الله فيها وحولها، وخلاصة القول فإننا بهذا الاستعراض للمنهج التربوي الذي سلكه الشيخ القسام في سبيل الدعوة إلى الله وإنارة الطريق إليها بالتربية الجهادية نرى ما يلي:

- أن الحاجة ماسة لاستبطان هذا المسلك والأخذ به وصولاً إلى أنجح السبل للدفاع عن ديار الإسلام والمسلمين في ربوع فلسطين وتثبيت المسلمين على دينهم.
- العمل على إبراز جهود المفكرين المسلمين في فلسطين لتعم الفائدة المرجوة.

- العمل على إحياء التراث الإسلامي في فلسطين الذي خلفه لنا علماء ومجاهدون للاستفادة منه في مواصلة المشوار.

" وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالين "

المراجـــــع

1-أحمد كاني - الجهاد في غرب أفريقيا - القاهرة - الزهراء للإعلام العربي 1407 هـ - 1987م.

- أبو لبابة حسين ، التربية في السنة النبوية دار اللواء الرياضي 1403 هـ .
- ابن ماجة السنن .
- بيان نويهض الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 م- 1948م - ط الثالثة - بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1986م.
- بيان نويهض الحوت - الشيخ المجاهد عز الدين القسام وتاريخ فلسطين - بيروت - الاستقلال للدراسات والنشر 1987 م .
- البخاري صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير.
- جمال ستوم - وضاعت بلادي - القدس مطابع الدفاع .
- زياد عودة- من رواد النضال في فلسطين 1929 م- 1948م دار الجليل للنشر ط أولى 1987 م عمان الأردن .
- دار العودة ، عز الدين القسام أبو الفدائيين العرب ط 1975م بيروت.
- الدرامي - السنن .
- قرآن كريم .
- قسطنطين خمار - الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ط 1966م.

- قسطنطين خمار - الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية - المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت .
- سميح حمودة، الوحي والثورة - دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام - 1828 م - 1935م ، ط الثانية عمان - دار الشروق للنشر 1986 م.
- سنن أبي داودد .
- سنن الترمذي.
- شكري حلمي - التربية والمجتمع ط 1998 م .
- سلسلة أبطال العرب ، عز الدين القسام - بيروت دار العودة 1986م.
- د. صلاح الدين حماد - التربية الإسلامية ومدارسها الفكرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق، ط 1997 م.
- د. صلاح حماد ، اليقظة والتحدي للغزو الفكري في غرب أفريقيا ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر التربوي بالجامعة الإسلامية النيجر 1991 م.
- عدنان أبو شبيكة - ثورات عرب فلسطين 1929م - 1936 م" دراسة تاريخية " رسالة ماجستير غير منشورة .
- على حسين حلق - تجربة عز الدين القسام السورية شئون فلسطينية العدد - 124 - بيروت - مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية مارس 1982م.
- عادل غنيم ، ثورة الشيخ القسام- شئون فلسطينية، كانون الثاني، يناير 1972 م.
- عوني جدوع العبيد ثورة الشيخ العالم المجاهد عز الدين القسام - عمان - دار النفائس 1993 م.
- عجاج نويهض / رجال من فلسطين ما بين بداية القرن حتى عام 1938 - بيروت - مطابق الكرمل 1981 .

- عز الدين إسماعيل وآخرون ، عز الدين القسام بيروت - دار العودة.
- علي المصوري - مضامين تربوية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مجلة التربية المعاصرة العدد 30 يناير 1994م الناشر / دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- على القرشي - التغيير الاجتماعي عند مالك بن بنى ، دار الزهراء ط 1989 م.
- عبد الله السمان : التربية في القرآن الكريم - دار الاعتصام 1979 م .
- د. محمد عبد القادر أبو فارس - شهداء فلسطين دار الفرقان للنشر / ط أولى 1990 م عمان - الأردن.
- هنري كتن - القدس - ترجمة إبراهيم الراهب دمشق دار كنعان للدراسات والنشر - 1997 م .
- د. هشام الطالب - دليل التدريب القيادي - سلسلة التنمية البشرية - دار المستقبل الجليل - فلسطين ط 1998م .